قصيدة في آداب التعلم والتفقه للؤلؤي

قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله : (وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم ما ينسب إلى اللؤلؤي من الرجز ، وبعضهم ينسبه إلى المأمون ، وقد رأيت إيراد ما ذكر من ذلك لحسنه ، ولما رجوت من النفع به لمن طالع كتابي هذا ، نفعنا الله وإياه به قال:

واعلم بأن العلم بالتعلمِ *** والحفظِ والإتقانِ والتفهمِ

والعلمُ قد يُرزَقه الصغيرُ *** في سنه ويُحرم الكبيرُ

وإنما المرءُ بأَصْغَريْهِ *** ليس برجليْه ولا يديْهِ

لسانُه وقلبُه المركبُ *** في صدرِهِ وذاك خلقٌ عَجبُ

والعلمُ بالفهمِ وبالمذاكرَهْ *** والدرسِ والفكرةِ والمناظرَه

فربَّ إنسانٍ يَنال الحِفْظَا *** ويُوردُ النصَّ ويَحكي اللَّفْظاَ

وما له في غيرِهِ نصيبُ *** مِمّا حواه العالمُ الأديبُ

وربّ ذي حرصٍ شديد الحبِّ *** للعلمِ والذُكر بليد القلبِ

معجز في الحفظِ والروايهْ *** ليستْ له عمّن رَوَى حِكايهْ

وآخَرُ يُعطى بلا اجْتهادِ *** حفظاً لما قد جاء في الإسنادِ

يهذه بالقلب لا بناظرهْ *** ليس بمضطرٍ إلى قماطرهْ

فالتمسِ العلمَ وأَجْمِل في الطلَبْ *** والعلم لا يَحسنُ إلا بالأدبْ

والأدبُ النافعُ حسنُ الصمتِ *** وفي كثير القولِ بعضُ المقتِ

فكُن لحسن السمت ما حَيِتَا *** مقارناً تُحمد ما بقيتَ

وإنْ بدت بين أناسٍ مسألهْ *** معروفةٌ في العلمِ أو مُفتعَلهْ

فلا تكن إلى الجوابِ سابقاً *** حتى تَرَى غيرَك فيها ناطقاً

فكم رأيتُ من عجولٍ سابقِ *** من غير فهمٍ بالخطأ ناطقِ

أزرى بهِ ذلك في المجالسِ *** عند ذوي الألبابِ والتنافسِ

وقُلْ إذا أعياكَ ذاك الأمرُ *** مالي بما تسأل عنه خُبْرُ

فذاك شطرُ العلمِ عند العلما *** كذاك ما زالتْ تقول الحُكما

والصمت فاعلم بك حقاً أزين *** وإنْ لم يكن عندك علمٌ متقنُ

إياك والعجب بفضل رأيِكا *** واحذر جوابَ القولِ من خطائكا

كم من جوابٍ أعقبَ الندامهْ *** فاغتَنِمِ الصمتَ مع السَّلامهْ

العلم بحرٌ منتهاه يبعد *** ليس له حدٌ إليه يقصدُ

وليس كلُّ العلمِ قد حويتَه *** أجَل ولا العُشر ولو أحصيتَه

وما بَقِي عليكَ منه أكثرُ *** مما علِمتَ والجوادُ يَعثُرُ

فكُنْ لما سمعتَهُ مستفِهما *** إن أنتَ لم تفهمْ منه الكلِما

القول قولانِ : فقولٌ تعقِلُهْ *** وآخرُ تسمعُهُ فتجهَلُهْ

وكل قولٍ فلهُ جوابُ *** يجمعُهُ الباطلُ والصوابُ

وللكلامِ أولٌ وآخرُ *** فافهمهما والذهنُ منك حاضرُ

فربما أعيْا ذوي الفضائلِ *** جواب ما يُلقى من المسائلِ

فيُمسكوا بالصمتِ عن جوابهِ *** عند اعتراضِ الشكِّ في صوابهِ

ولو يكون القولُ في القياسِ *** من فضَّةٍ بيضاءَ عند الناسِ

إذاً لكان الصمتُ من خير الذهبْ *** فافهم هداك الله آداب الطلبْ